http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (2043) السنة الثامنة - الاثنين (14) شباط 2011

ها هي ذكرى القديس فلنتاين تحل بيننا رغم كل ما يحاول البعض من فرضه علينا من ممارسات وسلوكيات القمع والارهاب والبغض، تحل علينا هذه الذكرى لتمحو كل طقوس الكراهية، ولتوقد شمعة تضيء النفوس الكئيبة التي هجرها الحب وتركها مجرد سعفة ذابلة تتقاذفها رياح شتى خالية من الدفء.
في خضم متاعب الحياة ودوراناها الفلكي نصحو على نسائم ذكرى القديس فالنتاين، الذي جاءنا دون موعد على جناح غيمة ماطرة بكل الحنان والاشواق وبكل ما للحب من فتنة، جاءنا القديس فالنتاين ومن غيره يحمل قداسة الحب،فافتحوا له القلوب قبل الابواب، ليحل في ربوعنا دون تذكرة سفر، فللحب قداسة تعرفها المحطات والموانئ والمرافئ وحتى المطارات التي لم يكن يعرفها فالنتاين، والحب لا يحتاج الى جواز سفر ولا لجواز مرور، يحتاج فقط الى اكياس كبيرة تملأ بالنوايا الحسنة!.

بغداد / سها الشيخلي

في وقت يسعى البعض لتكريس القيم الظلامية

فالنتاين

يدق الابواب.. والشباب يتحدّون من يسعى لتكريس التخلف

هذا العيد رحبت بمقدمه الطبيعة فازدادت الشمس دفئا، ونثرت خصلات شعرها الذهبي لتذكرنا بجحودنا لها واستخفافنا بمقدمها، فهل ترانا كبرنا على الحب ام هو الذي كبر علينا؟ وهل للحب مواسم واعمار وسنوات واوراق روزنامة تتساقط كما يتساقط العمر؟ هذا ما نفاه احد الشعراء ناعتا البعيد عن الحب بأن لا حياة له! واستدرك شاعرنا قائلا: حتى وان كانت له حياة فهي جافة كئيبة..
بمناسبة عيد الحب الموافق ١٤ شباط كانت لنا هذه الجولة في بعض ارجاء الكليات، دون اغفال ما اشارت اليه احدى القنوات الفضائية من سعي جهات متشددة في ادارات الكليات ورجال حماية وجهوا لممارسة اعمال هي خارج صلاحياتهم وتشغل نفسها بمهام تصب باتجاه الحد من الانسجام بين الطلبة ككل وبين الجنسين بشكل خاص، فيقوم نفر (ضال) منهم بسكب زيوت السيارات على المقاعد المتناثرة في ارجاء مبنى مجمع الجادرية لمنع جلوس الطلبة وخاصة من كلا الجنسين في التفاتة اقل ما نصفها بكونها بعيدة عن الذوق العام والاخلاق والقيم.. وسط ما يريد البعض من فرض تخيلاته المريضة، يقف الشباب ليقول بكل جرأة لاكل الافكار الظلامية ونعم لقيم المحبة والتسامح. فلنستمع الى ما يقوله الشباب عن الحب وعن من يزرع الشوك في طريق نموه وازدهاره،، وهل تراهم يعرفونه حق المعرفة؟

أعمال صبيانية

في باحة احدى الكليات كان لنا هذا اللقاء مع مجموعة من الطلبة الذين اكدوا ما تناقلته الانباء عن سكب الزيوت على مقاعد الحديقة والساحات من اجل تفرقة الطلبة، وكأنهم في طريقتهم البدائية تلك يريدون ان يعبروا عن ما في دواخلهم من تخلف ومن تشدد لا مبرر له، وفي محصلة الموضوع فالأمر لا يستحق ان يوصف بغير الاعمال الصبيانية التي تنم عن عقلية ظلامية متسلطة. في البداية كان الحديث ليس عن الزي الموحد ولا عن الاقسام الداخلية بل حوارنا لهذا اليوم له خصوصية، انه عن يوم الحب الذي تحتفل كل المخلوقات بقدومه، ما ان طرحنا السؤال التالي (ما هو شعوركم بيوم الحب الموافق ١٤ شباط الجاري وكيف ترون الحياة بدون الحب) حتى ضحك وتفرق الطلبة وكأننا القينا قنبلة موقوته بينهم، سالناتهم لماذا يخشون عليكم من الحب؟ قالت الطالبة هند المجتمع لا يرحب بالحب ربما يرحبون بالكراهية اكثر! في حين خالفها الراي زميلها حسين حيث قال:
انه الجهل بكل ابعاده وتناقضه مع الحياة، او قد يكون السبب عدم الثقة بالشباب و التخوف من نتائج الحب على كل الصعد، ومهما يكن من الأمر فالتربية الجيدة والاعداد القويم لكل من الفتى والفتاة كفيلين بتحصينهما حصانة كافية. وهنا تدخل الطالب احمد محتجا:
تحصين واعداد؟ ما الامر هل اننا في معركة؟ يجب ان يدرك الجميع ان الحياة لا تستقيم بدون الجنس اللطيف، ثم ضحك وهو يقول، تصوروا لو ان الكلية كانت خالية من الجنس اللطيف، كيف سيكون شكلها؟ الحياة لا يصنعها الرجل لوحده ولا المراة لوحدها، الحياة جميلة ورائعة اذا ما قامت على الحب و التفاهم ليس بين العشاق فقط بل بين الجميع. أما عن مشاعرنا بيوم الحب فاقول لك انها جيدة والحمد لله، وبصراحة فان هنالك ثقافة تريد ان تصور الحب وكأنه محصور بعلاقة الشاب بفتاة في حين انه واسع بقدرسعة الحياة وتنوعها، ويمكن ان نستثمر هذه المناسبة باشياء عملية ترسخ القيم الجميلة بين ابناء شعبنا المعطرة بأسمى آيات الحب بين جميع مكوناته. واضاف ان خلو الحياة من الحب يعني تحول الامر الى جحيم وتعاسة رغم ذلك فالحب كما قلت لا يعني فقط العاطفة بين الرجل و المراة بل يتعداها الى حب الوطن، حب الاسرة. وهنا ضحك الجميع من صديقهم احمد وهم يقولون (خطية احمد انه يحب امه فقط... كان الله في عونه!).
الطالبة زهراء اكدت ان يوم الحب مناسبة لكي يلتفت كل من الشاب و الشابة الى نفسه ويسألها عن نصفه الاخر، فبدون النصف الآخر لا قيمة للحياة، وعن مقولة الانصاف و النصف الآخر وما أصلها تقول زهراء:
هناك اسطورة تشير الى ان آلهة اليونان كانوا يصنعون نصف زهرة ويضعونها الى جانب ليصنعوا النصف الآخر في الجانب الآخر ولكن ريحاً قوية هبت فاختلطت انصاف الزهور، ومنذ ذلك التاريخ بقي الانسان يبحث عن نصفه الذي تطاير بفعل الر يح، فأحيانا يلقاه ولكن اغلب الاحيان لا يلقاه، ومن هنا جاءت كلمة النصف والنصف الاخر.

لغة الأرقام

في باحة كلية علمية كانت لنا هذه الوقفة مع طلبتها بمناسبة عيد فالنتاين، وعندما سألنا الطلبة هل يعرفون من يكون فالنتاين كان الجواب بالايجاب من قبل الجميع. قد يكون سبب ذلك هو التقارير المتلفزة وسعة انتشار المعلومات بعد ان اكتسح الانترنيت حياتنا، فلم يكن يعرف البعض قبل سنوات من يكون القديس فالنتاين الا ما ندر. المهم سألنا احد الطلبة وهو من قسم الرياضيات، هل لغة الارقام عصية على ادراك لغة القوافي؟ وبعد ان استوعب السؤال اجاب، لا لغة الارقام ولا القوافي قادرة على ترجمة لغة العيون، فهي وحدها القادرة على توصيل العاطفة، ولكن ليس كل العيون، فحديث العيون لغة خاصة قد تعجز عنها لغة الارقام ولغة القوافي معا، انها لغة عالمية لا تخضع الى حروف ابجدية، فابجديتها معروفة للبعض وليس للجميع، هنا احتجت الطالبة التي كانت الى جانب حسام وقالت لماذا كل هذا التجني؟ ارجوا ان لا تعمم، بل اترك الامر مفتوحا، فما كان منه الا الاعتذار. فيما قالت الطالبة زينب ان لغة الارقام لا تعني ان صاحبها بدون مشاعر، الامر لا يطرح هكذا ابدا. وعن احتفال العالم بذكرى القديس فالنتاين اكدت زينب ان السنوات القليلة القادمة ستشهد انفتاحا على الحياة اكبر بكثير مما هو عليه الآن، ذلك لأن عجلة التغير تسير بسرعة خارقة فنحن في القرن الحادي و العشرين وفي عصر السرعة.

رأي الأساتذة

موقف أساتذة الجامعات التي زرناها كان مختلف بعض الشيءربما بسبب العمر اذا ما نظرنا للموضوع بحسن نية، حيث يبدو ان عدداً من الاساتذة وهم مسؤلون عن تنشئة جيل يخشون الحديث عن موضوع يتعلق بالحب ولاندري إن كانوا يعدونه حراما؟ لاننا عندما طرحنا السؤال عليهم تجهم وجه البعض منهم، وغادر البعض الآخر الغرفة، وكاننا اشعلنا فتيل حرب اهلية، مع ان الموضوع لا يعدوا كونه موضوعا اجتماعيا، غير ان احد اساتذة التاريخ تحدث الينا بعد ان اكد علينا عدم ذكر اسمه فقال:
شهد العالم طيلة نشوئه حروبا مدمرة كان سببها الحب، ثم استدرك الاستاذ قائلا، انا هنا لا ادين الحب بل اتحدث عن وقائع عديدة فحرب طروادة مثلا كانت بسبب هيلين، ولماذا نذهب بعيدا فحتى الحرب العالمية الثانية كانت بسبب حادثة سراجيفو، وقد ذكرت لنا الكتب السماوية ومنها القران الكريم ان قصة النبي سليمان والملكة بلقيس، وكذلك قصة النبي يوسف وزوجة عزيز مصر، فالحب هو مسرح الحياة وقصصه لا تخلو من غرابة.

العالم يحتفل بالحب

عيد الحب أو عيد العشاق أو "يوم القديس فالنتين" مناسبة يحتفل بها الكثير من الناس في كل أنحاء العالم في الرابع عشر من شهر فبراير من كل عام. و أصبح هذا اليوم مرتبطا بمفهوم الحب الرومانسي الذي أبدع في التعبير عنه الأديب الانجليزي جيفري تشوسر في أوج العصور الوسطى التي ازدهر فيها الحب الغزلي. ويرتبط هذا اليوم أشد الارتباط بتبادل رسائل الحب الموجزة التي تأخذ شكل بطاقات عيد الحب. وتتضمن رموز الاحتفال بعيد الحب في العصر الحديث رسومات على شكل قلب وطيور الحمام وكيوبيد، ملاك الحب ذي الجناحين. ومنذ القرن التاسع عشر، تراجعت الرسائل المكتوبة بخط اليد لتحل محلها بطاقات المعايدة التي يتم طرحها بأعداد كبيرة. وقد كان تبادل بطاقات عيد الحب في بريطانيا في القرن التاسع عشر إحدى الصيحات التي انتشرت آنذاك. أما في عام ١٨٤٧، فقد بدأت استر هاولاند نشاطًا تجاريًا ناجحًا عندما صممت بطاقات لعيد الحب مستوحاة من طيور الحب الملونة،و كان انتشار هذه البطاقات في القرن التاسع عشر في العالم يعد في احد اوجهه تعبيراً عن الحب للاخر-لكن هذه البطاقات أصبحت الآن مجرد بطاقات للمعايدة وليست تصريحًا بالحب. وتشير الإحصائيات التي قامت بها الرابطة التجارية لناشري بطاقات المعايدة في العالم إلى أن عدد بطاقات عيد الحب التي يتم تداولها في كل أنحاء العالم في كل عام يبلغ بليون بطاقة تقريبًا، وهو ما يجعل يوم عيد الحب يأتي في المرتبة الثانية من حيث كثرة عدد بطاقات المعايدة التي يتم إرسالها فيه بعد عيد الميلاد. كما اشارت الإحصائيات التي صدرت عن هذه الرابطة بأن الرجال ينفقون في المتوسط ضعف ما تنفقه النساء على هذه البطاقات في العالم.

من هو القديس فالنتاين

بعد كل هذا الحديث عن عيد الحب وصاحبه فالنتاين ربما هناك من يسال من هو القديس فالنتاين
القديس فالنتين كان يعيش في تورني.و أصبح أسقفًا لمدينة إنترامنا (الاسم الحديث لمدينة تورني) تقريبًا في عام ١٩٧ بعد الميلاد، ويُقال إنه قد قتل أثناء فترة الاضطهاد التي تعرض لها المسيحيون أثناء عهد الامبراطور أوريليان. وقد تم دفنه أيضًا بالقرب من طريق "فيا فلامينا"، ولكن في مكان مختلف عن المكان الذي تم فيه دفن القديس فالنتين الذي كان يعيش في روما. أما رفاته، فقد تم دفنها في باسيليكا (كنيسة) القديس فالنتين في تورني. أما الموسوعة التي تحمل اسم كاثوليك إنسايكلوبيديا فتتحدث أيضًا عن قديس ثالث يحمل نفس الاسم وقد ورد ذكره في "سجل الشهداء والقديسين الخاص بالكنيسة الكاثوليكية" في الرابع عشر من شهر فبراير. وقد قتل في أفريقيا مع عدد من رفاقه، ولكن لا توجد أية معلومات أخرى معروفة عنه.. ولا يوجد أي مجال للحديث عن الرومانسية في السيرة الذاتية الأصلية لهذين القديسين اللذين عاشا في بدايات العصور الوسطى. وبحلول الوقت الذي أصبح فيه اسم القديس فالنتين مرتبطًا بالرومانسية في القرن الرابع عشر، كانت الاختلافات التي تميز بين القديس فالنتين الذي كان يعيش في روما والقديس فالنتين الذي كان يعيش في تورني قد زالت تمامًا.
وفي عام ١٩٦٩، عندما تمت مراجعة التقويم الكاثوليكي الروماني للقديسين تم حذف يوم الاحتفال بعيد القديس فالنتين في الرابع عشر من شهرشباط / فبراير من التقويم الروماني العام، وإضافته إلى تقويمات أخرى (محلية أو حتى قومية) لأنه: "على الرغم من أن يوم الاحتفال بذكرى القديس فالنتين يعود إلى عهد بعيد، فقد تم اعتماده ضمن تقويمات معينة فقط لأنه بخلاف اسم القديس فالنتين الذي تحمله هذه الذكرى، لا توجد أية معلومات أخرى معروفة عن هذا القديس سوى دفنه بالقرب من طريق "فيا فلامينا" في الرابع عشر من شهر فبراير." ولا يزال يتم الاحتفال بهذا العيد الديني في قرية بالتسان في جزيرة مالطا، وهو المكان الذي يُقال أن رفات القديس قد وُجدت فيه. ويشاركهم في ذلك الكاثوليكيون المحافظون من جميع أنحاء العالم ممن يتبعون تقويمًا أقدم من ذلك التقويم الذي وضعه مجلس الفاتيكان الثاني. وقد قام احد المؤرخين باقتباس أجزاء من السجلات التاريخية التي أرّخت لحياة كلا القديسين الذين كانا يحملان اسم فالنتين، وتعرّض لذلك بالشرح الموجز في كتاب "الأسطورة الذهبية".ووفقًا لرؤية هذا المؤرخ، فقد تم اضطهاد القديس فالنتين بسبب إيمانه بالمسيحية وقام الامبراطور الروماني كلوديس الثاني باستجوابه بنفسه. ونال القديس فالنتين إعجاب كلوديس الذي دخل معه في مناقشة حاول فيها أن يقنعه بالتحول إلى الوثنية التي كان يؤمن بها الرومان لينجو بحياته. ولكن القديس فالنتين رفض، وحاول بدلاً من ذلك أن يقنع كلوديس باعتناق المسيحية.ولهذا السبب، تم تنفيذ حكم الإعدام فيه. وقبل تنفيذ حكم الإعدام، قيل إنه قد قام بمعجزة شفاء ابنة سجانه الكفيفة. ولم تُقدم لنا الأسطورة الذهبية أية صلة لهذه القصة بالحب بمعناه العاطفي. ولكن، في العصر الحديث تم تجميل المعتقدات التقليدية الشائعة عن فالنتين برسمها صورة له كقسيس رفض قانونًا لم يتم التصديق عليه رسميًا يقال إنه صدر عن الامبراطور الروماني كلوديس الثاني؛ وهو قانون كان يمنع الرجال في سن الشباب من الزواج. وافترضت هذه الروايات أن الامبراطور قد قام بإصدار هذا القانون لزيادة عدد أفراد جيشه لأنه كان يعتقد أن الرجال المتزوجين لا يمكن أن يكونوا جنودًا أكفاء. وعلى الرغم من ذلك، كان فالنتاين، بوصفه قسيسًا، يقوم بإتمام مراسم الزواج للشباب. وعندما اكتشف كلوديس ما كان فالنتاين يقوم به في الخفاء، أمر بإلقاء القبض عليه وأودعه السجن. ولإضفاء بعض التحسينات على قصة فالنتاين التي وردت في الأسطورة الذهبية، تناقلت الروايات أن فالنتاين قام بكتابة أول "بطاقة عيد حب" بنفسه في الليلة التي سبقت تنفيذ حكم الإعدام فيه مخاطبًا فيها الفتاة – التي كان يشير إليها بأكثر من صفة – تارة كمحبوبته، وتارة كأبنة سجانه التي منحها الشفاء وحصل على صداقتها وتارة ثالثة بالصفتين.حيث أرسل فالنتين لها رسالة قصيرة وقعها قائلاً: "من المخلص لك فالنتاين ".
اليوم ونحن نعيش اوضاعاً صعبة، نواجه فيها مجرموا الارهاب بشتى مسمياتهم واشكالهم، احوج ما نكون لتكريس قيم المحبة التي كانت سمة مشتركة جمعت كل مكونات المجتمع العراقي، وليكن شعارنا.. نعم للحريات التي تغذي قيم المحبة والتسامح وتوفر الأمان، وكلا لكل من يريد اعادة مجتمعنا لعصور التخلف والجهل.

اساتذة جامعة يتحرجون الحديث عن الحب، ومواسم الحب لا ترتبط بالتقويم